

## التأمل في الأدبين المهجري وغير المهجر المعاصر

عليرضا محمد رضائي<sup>١</sup>، عبدالباسط عرب يوسف آبادي<sup>٢</sup>، حسن أعظمي خويدر<sup>٣</sup>

١. أستاذ مساعد في اللغة العربية بجامعة طهران، فريديس قم

٢. طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة إعداد المعلمين بسبزوار

٣. ماجستير في ترجمة اللغة العربية بجامعة طهران، فريديس قم

(تاريخ الاستلام: ١٤٢٢/٤/١؛ تاريخ القبول: ١٤٢٢/١١/٢٠)

### الملخص

يعدُّ الإنسان العنصر الرئيسي لعملية الانتاج الأدبي، فهو ينظر إلى الحياة والكون والطبيعة وما بعدها ويصوِّرها في خاطره ثمَّ يعدلُّ ويجسِّد تأملاته بريشته الفنَّانة على ورقته، هذا التجسيد يكشف عن انتاجه الأدبي هو ما نسمِّيه بالأدب التأملي. من ألوان هذا الأدب: التفاسير التأملية للواقع أو الغيبيات، الشك والتشاؤم أو التفاؤل، النزعة الصوفية، الرحلات الخيالية، الرغبة في الطبيعة، النظرة إلى الدين وغيرها. بعد احتكاك العرب بالثقافات الأجنبية وبُعيد هجرة الأدباء العرب إلى المهاجر الأميركية - ما نُسَمِّيها بالأدب المهجري - استُخدمت هذه الألوان لدى المهجريين ولكن بالتعبير الحديثة والتصاوير المبدعة، فغيروها تغييراً في الشكِّ والمضمون. وكذلك الأدب المعاصر في غير المهجر الأميركي، فاستخدمت لديهم المؤلفات التأملية استخداماً تاماً مشابهاً باستخدام المهجريين إياها من جانب واستخداماً غير مشابه بهم من جانب آخر. هذه الدراسة تسعى لمقارنة جوانب الالتقاء والاختلاف في الألوان المستخدمة في الأدبين المذكورين، ثم بيان كيفية هذا الاستخدام، وفي نهاية المطاف قدِّم المؤلفون نتيجة تبيين مباني ونتائج هذه الدراسة.

### الكلمات الرئيسية

التأمل، المهجر، الأدب المعاصر، الشك، التشاؤم.

## مقدمة

هذه المهمة التي سعينا إلى شرحها وتحليلها، دراسة حول التأمل في الأدبين المهجري وغير المهجر المعاصر ثم مقارنة بين الوجوه المشتركة والمفترقة لهما. إن التأمل مسيطر على روح الأدب فهو بنفسه كمكانة القلب في جسم الأدب، فحياة أعضاء الأدب هي رهينة لحيوية التأمل، فالتأمل ضروري لا للفنان وحده وإنما لكل إنسان على نحو ما. ولكن البون شاسع بين تأمل رجل الأعمال وتأمل الفنان؛ لأن تأمل رجل الأعمال محصور في عمله الحسي، أما الفنان فتأمله يجري من خلال إحساسه الباطني الذي يجعل فكرته تزداد غزارة وعمقاً. وكذلك دور الأدب المهجري، فإن التأمل ضروري فيه لأنه يمثل دور القلب في جسم الأدب المهجري. من هذه التفاصيل نستنتج أن الأدب المهجري بصورته الجديدة لم ينفصل عن الأدب العربي العريق - الذي ينطوي على الاتجاه التأملي أيضاً - وإنما كان لبنة أضيفت إلى صرح الأدب العربي الشامخ فشاركت في إعلاء البناء وشموخ التشييد.

الأدب المهجري من حيث استخدام التأمل، يشابه غير المهجر المعاصر من جانب، ومن وجهة أخرى يفارقه، وليس معنى هذا الافتراق أنه منفصل تماماً عن جذور الاتجاه التأملي الذي يتمثل في المسيرة الطويلة العريقة للأدب العربي، وإنما هو - الأدب المهجري - يرتبط بالنزعة التأملية بأوثق الصلات، ارتباطاً الروح والجسم. فمعرفة جوانب الالتقاء والاختلاف في استخدام التأمل بين الأدبين المهجري وغير المهجر المعاصر ودراية غلبة أي الوجوه على الأخرى، ساقط الباحث إلى دراسة «التأمل في الأدبين المهجري وغير المهجر المعاصر». ولهذا وجهنا جهداً إلى خوض غمار ذلك الموضوع، ووجدنا أمامنا عقبات كثيرة منها قلة المصادر والمراجع في حفل الأدب المقارن المتعلق بالأدب التأملي - مع أن الأدب التأملي ووجهاته ومنجزاته مطروق على يد النقاد، أما القسم المقارني للأدب التأملي مفقود لديهم - وكذلك ضرورة الفهم التجريبي للبعض من المصطلحات التأملية خاصة ما تتعلق بالصوفية ومفاهيمها شكلت عقبات هذه الدراسة.

بإمكاننا تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب: أولهما التأمل في الأدب غير المهجر المعاصر والثاني الأدب المهجري. ومن أجزاء الباب الأول: نبذة عن الاتجاه التأملي المعاصر وظواهره. وخصّصنا الباب الثاني إلى: نبذة عن الأدب المهجري وتَمُّ مستجدّاته الشكلية والموضوعية، ثمّ الباب الثالث الذي قارننا فيه بين الظواهر التأملية في الأدبين المهجري وغير المهجر المعاصر، منها: التفسير الجديد للغيبات، الصوفية، الشك واللاأدرية، الرحلات الخيالية، النزعة إلى

الطبيعة والنظرة إلى الدين، النزعة الإنسانية، النزعة الروحية، الحنين إلى الوطن والقومية. بإمعان النظر في الوجوه المشتركة والمفرقة للأدبين، وجدنا أن ظواهر التأمل في غير المهجر المعاصر هو نفس الأدب المهجري، اللهم إلا في أجزاء قليلة.

### الاتجاه التأملي للأدب

التأمل لغةً هو: التلبّث في الأمر والنظر (الفيروزآبادي، ١٢٦٤، ج ١، ص ٣٢٠)، أو التنبّث في الأمر والنظر (ابن منظور، ١٩٨٨، ج ١، ص ٢١٢)، وإمعان النظر في حوادث الشعور وضبط صفاتها مع تقريب بعضها من بعض للكشف عن قوانينها (المعلوف، ٢٠٠٣، ص ١٨). وينقسم إلى: الأدبيّ والفلسفيّ، والفلسفيّ يتناول المجردات فيدقّق النظر فيها إدراكاً لكنها معتمداً في ذلك على التحليل العقلي، أما الأدبيّ فغاياته التعبير عما تثيره هذه المجردات في النفس من خوالج وصور خيالية. الأول محلّ منطقيّ والثاني محلّ خياليّ (المقدسي، ١٩٥٢، ص ٣٢٣). الأدب التأملي هو انعكاس تأمل الإنسان في الحياة والطبيعة وما بعدها وتصور فيه دواخل النفس وحالاتها، يجسّد الأديب أحاسيسه بالتصوير والخيال فهما ألتان لتعبيره وإن فقدت إحدهما لن يستطيع الأديب أن يرسم ما يحسّه على القرطاس، فللأديب المتأمل خيال طمّاح وقدرة لتصوير خياله. ظاهرة التأمل تسيطر على روح الأدب وتسري في عروقه وتكاد تكون وجهاً مميزاً له يضعه في قائمة خاصة حينما تتفاضل الأدب وتتنازع حق البقاء (عبدالدايم، ١٩٩٣، ص ٦).

المعاني المتأملة كثيرة، أحياناً تتسرب إلى التأمل في الحياة وأسرار نفس البشرية وفي الكون ومعرفة أسرارها والتوجه في الموت وتارة التأمل في الطبيعة وآثارها ومناظرها الجميلة من الجبال والغابات والأزهار والبحور وحيناً آخر التأمل في الإنسان ومجمعه كالوطنية والمساواة والإخاء والحرية والشجاعة وغيرها. كل من هذه المعاني يرتبط بالإنسان أو مصدر من جانب إنساني أو يداخل فيه الإنسان بشكل ما، فالإنسان هو الذي يصرف في تأملاته ويبحث عنها ويدرسها ويوسّعها إلى معانٍ مختلفة. فإن التيار التأملي - على حسب هذه التفاصيل - ليس شيئاً جديداً في الأدب العربي كما هو موجود في آثار أبي العتاهية، المعري<sup>١</sup>

١. أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبدالله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (٩٧٣-١٠٥٧م)، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري. لقب بـ"زهين المحبسين" بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت. اشتهر بأرائه وفلسفته المثيرة للجدل في وقته، وهاجم عقائد الدين. من أعماله الأدبية "سقط الزند"، "لزوم ما لا يلزم"، "رسالة الغفران" وغيرها.

والمتنبّي<sup>١</sup> والشعراء الصوفيين من أمثال ابن الفارض<sup>٢</sup> والحلاج<sup>٣</sup> وابن العربي<sup>٤</sup> (م، ن، ص ٣٢).

### الأدب المهجري

هاجر جماعة من الناس - وبينهم الأدباء - في تسعينات القرن التاسع عشر<sup>٥</sup> من لبنان وسوريا وفلسطين وغيرها إلى المهاجر الأميركية في الشمال والجنوب. يرى المؤرخون أسباب الهجرة إلى أمريكا كثيرة لا يحصيها عدُّ، منها عوامل سياسية كظلم ودكتاتورية الحكم العثماني وحرمان الحرية وتحميل الضرائب الثقيلة على الشعب المعوز ومنها اقتصادية كثرة سكّانها وقلة الملكيات وشيوع النظام الاقطاعي وثقافية كاختلاط الثقافات الأجنبية بالثقافات العربية وكثرة التمرّد لدى سكّانها واجتماعية كالجمود العام والشعور بالخيبة (الدهان، ١٩٩٨، صص ١٥-١٨)، فنقلوا الآداب إلى المهاجر الأميركية وأسّسوا مدرستهم في الشمال باسم "الرابطة القلمية" على رأسها جبران<sup>٦</sup>

١. هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد أبو الطيب الكوفي المولد، ولد سنة ٣٠٢ق وعاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب، وكان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحى للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. ويقولون عنه بأنه شاعر أناني ويظهر ذلك في أشعاره. ترك تراثاً عظيماً من الشعر، يضم ٣٢٦ قصيدة، تمثل عنواناً لسيرة حياته.
٢. هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، من حماة في سوريا، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي، حتى أنه لقب بـ "سلطان العاشقين".
٣. أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج (٢٤٤-٣٠٩ق) من أعلام التصوف من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، نشأ بواسط والعراق، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره.
٤. محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي، أحد أشهر المتصوفين، لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية بـ "الشيخ الأكبر"، ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان الكريم عام ٥٥٨هـ الموافق ١١٦٤م، قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م، ودفن في سفح جبل قاسيون.
٥. راجع تفصيل المهاجرين وسنة وصول أوائلهم إلى أميركا (هدارة، ١٩٥٧، ص ٤٩؛ جاد، ١٩٦٣، صص ٢٦-٢٧).
٦. جبران خليل جبران: فيلسوف وشاعر وكاتب ورسام لبناني أمريكي، ولد في ٦ يناير ١٨٨٣ في بلدة بشري شمال لبنان، وتوفي في نيويورك ١٠ أبريل ١٩٣١ بداء السل، ويعرف أيضاً بخليل جبران، وهو من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني. هاجر وهو صغير مع أمه وإخوته إلى أمريكا عام ١٨٩٥ الذي درس فيها الفن وبدأ مشواره الأدبي. اشتهر عند العالم الغربي بكتابه الذي تم نشره سنة ١٩٢٣ وهو كتاب "النبي". جبران هو الشاعر الأفضل مبيعاً، بعد "شكسبير" و"لاوزي".

ونعيمة<sup>١</sup> وأبوماضي<sup>٢</sup> وفي الجنوب باسم العصابة الأندلسية على رأسها إلياس فرحات<sup>٣</sup> والشاعر القروي<sup>٤</sup> (الجيوسي، ٢٠٠١، صص ١٠٨-١٢٣). عبّر المهجريون بالأدب عن مشاعرهم وعواطفهم وتكلموا فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن فتمسّكوا بالوصف عن مظاهر الحضارة الجديدة بما فيها من جانب الحداثة والترفيه الظاهرية ومن جانب آخر العناء والشقاء والظروف المريعة، فيشكل هذا التعبير أدبهم المهجري.

تأثر المهجريون بالأدب والمدارس العربية القديمة والحديثة وبالآداب والمدارس الغربية وبالفكر الشرقي (عبدالدايم، ١٩٩٢، صص ٢٠١-٢٢٣). من التأثير عليهم هذا البيت للمعري:

تعبُّ كلها الحياةُ فما أعـ      جب إلا من راغبٍ في ازدياد

على وجه يشير فوزي المعلوف<sup>٥</sup> إلى هذا المفهوم:

١. ميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٨م) مفكر عربي، وهو واحد من الجيل الذي قاد النهضة الفكرية والثقافية وأحدث اليقظة وقاد إلى التجديد وأقسمت له المكتبة العربية مكاناً كبيراً لما كتبه وما كتب حوله. فهو شاعر وقاص ومسرحي وناقد وكاتب مقال ومفلسف في الحياة والنفس الإنسانية، وقد أهدى إلينا آثاره بالعربية والإنجليزية والروسية، وهي كتابات تشهد له بالامتياز وتحفظ له المنزلة السامية.
٢. إيليا أبوماضي (١٩٥٧-١٨٨٩م) شاعر عربي لبناني يعتبر من أهم شعراء المهجر في أوائل القرن العشرين. يزخر شعر أبي ماضي بالتناؤل والإقبال على الحياة بإسباغ الجمال على البشر والطبيعة، ويستثنى من ذلك درته الشهيرة "الطلاسم". وهو كمعظم المهجرين يتصف بالجرأة في التعامل مع اللغة ومع القالب العمودي الموروث.
٣. إلياس فرحات (١٨٩٢-١٩٧٦) شاعر مهجري، ولد في قرية كفر شيما اللبنانية، وهي مسقط رأس اليازجي وآل شمائل. وآل تقلا، أصحاب جريدة الأهرام. تلقى دروسه الأولى في مدرسة القرية، ثم ما لبث أن تركها وهو في العاشرة من عمره يتدرب على المهن اليدوية، عله يجد فيها طريق النجاح. وفي سنة ١٩١٠ هاجر إلى البرازيل، حيث مارس شتى الأعمال محاولاً أن يقاوم قساوة الحياة ومصاعبها.
٤. رشيد سليم الخوري المعروف بـ"الشاعر القروي" و"شاعر العروبة" وله أخ يدعى قيصر ويعرف باسم الشاعر المدني. ولد الشاعر رشيد في قرية البربارة سنة ١٨٨٧، مسيحي الديانة، من الشعراء العرب في القرن العشرين، وقد هاجر الشاعر إلى البرازيل في عام ١٩١٣ برفقة أخيه قيصر. وتولّى رئاسة تحرير مجلة "الرابطة" لمدة ثلاث سنوات، ثم رئاسة "العصبة الأندلسية" عام ١٩٥٨، فكان رئيسها الثاني بعد ميشال معلوف، وظل في المهجر مدة خمسة وأربعين عاماً؛ حيث عاد إلى وطنه (الذي قضى فيه ثلاثة وعشرين سنة) وكان ذلك في عهد الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨.
٥. فوزي المعلوف: شاعر سوري الأصل، ولد في زحلة في ١٨٩٩/٥/٢١. يمتُّ بنسبه إلى أسرة عريقة في القدم، أنجبت الشعراء والمؤرخين والكتبة، والده عيسى إسكندر المعلوف العالم المؤرخ والعضو في ثلاثة مجامع علمية، منها المجمع العلمي العربي بدمشق. والدته عفيفة كريمة إبراهيم باشا المعلوف وأخواه شفيق صاحب "ملحمة عبقر" ورياض، وهما شاعران.

ألم كلها الحياة فلا تضـ  
 يحك ثغرا إلا لتبكي عيوننا  
 ويقول في مقام آخر:

تعبٌ كلها الحياة وهذا  
 كل ما قال فيلسوف المعرفة

(محمود زلط، ١٩٧٢، ص٣٩)

كذلك أثرت آراء أبي العتاهية حيال الحياة عليهم قائلًا:

وكانت في حياتك لي عظامٌ  
 وأنت اليوم أعظم منك حيًّا

(أبوالعتاهية، ١٩٨٦، ص٤٩٢)

ثم يشير أبوماضي إلى المعنى هذا:

يعظ النابغ الخلائق حيًّا  
 إنما موته أجل عظامه

(الخفاجي، ١٩٥٦، ص٣٠٣)

وتأثروا بالآداب والثقافة الغربية الأجنبية كجبران تأثر بآراء نيتشه<sup>١</sup> (عبدالدايم، ١٩٩٣، ص٢٢٧) ووليم بليك<sup>٢</sup> (م.ن، ص٢٢٤) وتُعيّمه بالأدب الروسي (م.ن، ص٢٢٨). تحرّر الأدب المهجري من الجمود التقليدي والتقاليد الموروثة فميزه معظم الأدب المهجري شكلاً هي التحرر. وإن شعراء الرابطة القلمية أكثر تحرراً في اللغة وتجديداً في الأساليب بالنسبة لشعراء العصبة الأندلسية. أدباء المهجر من جانب ألفوا النظم على طريقة الشعر المنثور والنثر الشعري، كشعر جبران وديوان «الأغنية الخالدة» لصفية أبي شادي و«الريحانيات» للريحاني<sup>٣</sup> (الخفاجي، ١٩٥٦،

١. فريدريك فيلهيلم نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز المهديين لعلم النفس، وكان عالم لغويات متميزاً. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة، المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، والحدائث عموماً، بلغة ألمانية بارعة.

٢. وليم بليك (١٧٥٧-١٨٢٧) كان شاعر إنجليزي ورسام ومصمم مطبوعات. ولم يكن معترف به إلى حد كبير في حياته، بليك يعتبر الآن الشخصية البارزة في تاريخ كل من الشعر والفنون البصرية في العصر الرومانسي. شعره النبوي قيل أنه لتشكيل "ما هو في نسبة فائدته على الأقل قراءة نص الشعر في اللغة الإنجليزية".

٣. أمين فارس أنطوان الريحاني، أديب، شاعر، باحث، مؤرخ، كاتب، روائي، قصصي، مسرحي، رحالة، سياسي، مرب، عالم آثار، ناقد، خطيب، رسام كاركثير، داعية إلى الإصلاح الاجتماعي، من عمالقة الأدب العربي ورجال الفكر، ملقب بفيلسوف الفريكة. ولد في ٢٤ أكتوبر/تشرين الأول ١٨٧٦ في بلدة الفريكة من قرى منطقة المتن الشمالي في جبل لبنان وفي ١٥ أغسطس/آب عام ١٩٤٧ تعرض لحادث وأدخل المستشفى وتوفي في ١٢ سبتمبر عام ١٩٤٧ بعد أن ترك غرثاً أدبياً وتاريخياً ضخماً وقيماً، كما كتب المسرحيات والقصص بالعربية والإنجليزية، وكان أشهر أدباء المهجر بعد جبران خليل جبران.

ص ١٤٨)، ومن جانب آخر قَرَّبوا الشعر إلى الموشَّحات الأندلسية (الجيوسي، ٢٠٠١، ص ١١٨) بحيث صار الشعر المهجري في موسيقاه وأوزانه وتنقل القصيدة في القوافي المتعددة قريبا من الموشَّحات الأندلسية. عندما نقرأ لنسيب عريضة<sup>١</sup> مثلاً:

يا نفس ما لك والأنين      تتأملين وتؤلمين  
عذبت قلبي بالحنين      وكتمته ما تقصدين؟...

(الخفاجي، ١٩٥٦، صص ١٥١-١٥٢)

نجد أنفسنا أمام نظام الموشحة الأندلسية وروحها وتأثيرها وموسيقاها الفنية.

### مقارنة بين ظواهر التأمل في الأدب المهجري وغير المهجر المعاصر

#### التفسير الجديد للغيبيات

للمخلوقات الأدبية ظواهر وحركات عديدة تبرز في إطار تيار ما، وكذلك الأدب التأملي له ظواهر يرتبط بعضها ببعض ويختلف شيء منها عن آخر، من هذه الظواهر هو التفسير الجديد للغيبيات. الغيب لغةً عبارة عن الشك أو عن السرّ أو عن كل مغيّب عن الإنسان (ابن منظور، ١٩٨٨، ج ١٠، ص ١٥٠)، والمراد منه كل ما يرتبط بالله والعالم الآخر والموت وكيفية الإنسان بعده وغيرها. في التعاليم الإسلامية إشارة إلى البعض من القضايا الغيبية، والكثير منها مجهولة لا يعلمها إلا هو تعالى، وجزء منها على أسلوب قصصي قابل للفهم العربي الجاهلي كقضية المعراج (الآلوسي، ١٣٠١، ج ١٥، ص ١٢). من الناس من يصدّقها دون أي شك وإنكار، وقادة يكفرونها وجماعة يرتابون فيها وأحياناً يفسرونها تأويل لاتقليدية مناهضة أقوال المتمسكين بظواهر الدين. وكذلك الأدباء، فقد اتبعوا هذه المواقف الثلاثة مع أن غالبيتهم نهجوا سبيل التصديق وعقبوا الوجهة الإيجابية لتفسير الغيبيات لأن الأدب العربي عموماً أميل إلى الاعتقاد بقوة عليا توجه البشرية للأمام وتهدى خطاهم وسط الظلام (المقدسي، ١٩٥٢، ص ٣١٨). من نماذج التفاسير الجديدة للغيبيات في الأدب القديم «رسالة الغفران» للمعري وفي الأدب الحديث هو قول "جبران" حيال الله يتحدث عنه كضمير في العالم ويسمى أقانيمه الثلاثة: الحب والتمرد

١. نسيب عريضة (١٨٨٧-١٩٤٦) شاعر سوري ولد في حمص وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠٥، حيث عمل محرراً في بعض الصحف العربية. أسس مطبعة وأصدر مجلة "الفنون" عام ١٩١٢. كان أحد مؤسسي الرابطة القلمية في نيويورك عام ١٩٢٠، وقد ضمت هذه الرابطة كثيراً من أدباء المهجر في أميركا الشمالية.

والحرية (م،ن، ص٢١٩). وكذلك يخاطب الله "الريحاني": «أنت إلهي ولا إله إلاك، فيجيب الله: إني نبض الحياة وروح الحب فيك ونور الحكمة، كنّ عليها أميناً فهي الألوهية دينا ويقينا» (عبدالدايم، ١٩٩٣، ص٢٤٦). البعض من هذه التفاسير أدّى إلى اللاأدريات للغيبيات التي تتلأأ بوضوح في قصيدة «الطلاسم» لأبي ماضي حيث يسأل الشاعر في مطولته عن الموت وزمانه وكذلك عن البعث والحياة بعد الموت والكشف عن سرّها، فيجبر وينمي إلى اللاأدرية:

إن يك الموت رقادا بعده صحو جميل

فلماذا ليس يبقي صحونا هذا الجميل؟

ولماذا المرء لا يدري أين وقت الرحيل؟

ومتى ينكشف السرُّ فيدري؟.....

لست أدري! (أبوماضي، ٢٠٠٤، ص٢٠١)

وكذلك في قصيدة أخرى باسم «أنا وابني» يطرح أبوماضي أسئلة حيال ذات الله، ويجيب بأنه وغيره لا يدري كيف كان الله فيقف الشاعر في الحيرة وتغلب عليه اللاأدرية:

قال ابني وهو حي	مران بما يحكي ويقراً
كيف كان الله إنـ	ني قد وجدت الله سرا...
لست أدري منك بالأ	مر ولا غيري أدري

(الدهان، ص٨٦)

إن هذه التفاسير قليلة في الأدب القديم لأن المجتمع العربي الإسلامي لا يقبل هذه الأقوال فيخالف القائلين بها ويتهمهم بالزنديق أو المُلحد، مع أنها كثيرة بالكثرّة لدى المهجريين لأن البيئة الأمريكية لا تخالف الحرية الدينية، وكذلك مبعثرة في آثار البعض من العرب غير المهجريين ك«شاطئ الأعراف» للهمشري و«ترجمة الشيطان» للعقاد و«ثورة أهل الجحيم» للزهاوي (الخفاجي، ١٩٥٦، ص٢٠٥).

#### الصوفية

للصوفية أدب غني يحمل تفحات دينية ونظريات فلسفية، خاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود واحتقار المادة وعالمها. الصوفية في الأدب التأملي على قسمين: التصوف الروحي والتصوف المادي، فهذا (المادي) يرى الله والطبيعة واحداً، أما ذاك (الروحي) فيؤمن بالروح الإلهية ويدعو إلى الاتحاد بالله عن طريق التأمل فيه والانصراف عن المحسوسات إليه (المقدس)،

١٩٥٢، ص ٢٢٠). إن الأدب الصوفي مملوء من الغموض بما فيه من الرموز، والشعر الصوفي هو أفضل وسيلة للتعبير عن مواجيد الصوفية وأحوالهم وتجربتهم، مع أن النثر الصوفي أكثر وضوحاً وسهولة بالنسبة إليه، وإذا كان الإلهام معزوفة الباطن فإن الشعر الصوفي هو هذه المعزوفة التي طالما رددتها شعراء المتصوفة في كل زمان وفي كل مكان، ليعبروا بها عن ذلك الإحساس الدقيق الغامض في تموجاته الرمزية للكشف الباطني (الاختيار، ١٩٨٨، ص ٣٦).

مع ظهور الشعر الحر أو شعر التفعيلة منذ منتصف القرن العشرين، بدأ الشعراء يستخدمون التراث الأسطوري والتاريخي والأقنعة الدينية والفنية والأدبية والصوفية، فالشخصيات الصوفية مثلت ظاهرة واضحة في الشعر المعاصر، وقد اختار الشعراء المعاصرون شخصيات عديدة من أهل التصوف، واجهوا بها قارئ قصائدهم، واتخذوا منها قناعاً يتحدثون به ومن ورائه عن مشاغلمهم ومعاناتهم ومواقفهم. وليس ذلك فحسب، بل نجد الشاعر المعاصر أحياناً يندمج في الشخصية الصوفية ويحل فيها حلولاً صوفياً، ويتحدد بأبعادها بفعل تشابه أحواله بأحوالها. من هؤلاء الشعراء البياتي، فهو أدرك عمق الصلة التي تربط الشعر بالتجربة الصوفية، مما دعاه إلى تمثّل بعض النماذج من تلك التجربة، وتجلّى ذلك من خلال اقتباس بعض عبارات ابن العربي والحلاج وغيرهما. يقول البياتي في قصيدته "عين الشمس أو تحولات محيي الدين بن عربي":

فكل اسم شارد، ووارد أذكره، عنها أكنّي، واسمها أعني

وكل دار في الضحى أندبها، فدارها أعني

توحد الواحد في الكل

والظل في الظل (البياتي، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٢٣٨)

تتحقق الصوفية في المقطع السابق من خلال توظيف عبارة "محيي الدين بن عربي" المشهورة: «فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكنّي، وكل دار أندبها فدارها أعني» (ابن العربي، ١٩٦٦، ص ٩). ويلحظ المتلقي شدة التقارب والتشابه بين النصين: نص البياتي الشعري ونص ابن عربي النثري، ولا عجب في ذلك، فالبياتي في تلك القصيدة يتقنّع بقناع ابن عربي وهو هنا يورد الكلام على لسان ابن عربي نفسه.

١. عبد الوهّاب البياتي شاعر وأديب عراقي (١٩٢٦-١٩٩٩) وبعد واحداً من أربعة أسهموا في تأسيس مدرسة الشعر العربي الجديد في العراق وهم على التوالي، نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وشاذل طافه.

ومن الشعراء الصوفيين في الأدب المهجري ميخائيل نعيمة الذي اشتهر بالأديب الصوفي وله نزعات روحية في ديوانه «همس الجفون» الذي يتضمن قصائد من أصل عربي وقصائد مترجمة من الإنجليزية إلى العربية، وكلها ذات نزعة تأملية فلسفية، فيها إشباع للعقل وإمتاع للعاطفة. منها قصيدة «هل من الأمواج جئتُ» سائلاً فيها عن البحر والرعد والبرق والرياح والفجر - كلها من عناصر الطبيعة ووراءها رموز وإيماءات صوفية - أنه من أين جاءت النفس ولا يسمع جواباً:

إيه نفسي! أنت لحنٌ فيَّ قد رنَّ صداه  
وقعتك يدُ فنان خفي لا أراه

أنت ريح ونسيم، أنت موج، أنت بحر  
أنت برق، أنت رعد، أنت ليل، أنت فجر

أنت فيض من إله... (نعيمة، ١٩٨٨، صص ١٦-٢١)

تتأرجح قصائد كثيرة للمهجرين حول التصوف الروحي كقصيدة «الصلاة» لنسيب عريضة:

أيا من سنه اختفى	وراء حدود البشـر
نسيبتك يوم الصفاء	فلا تتسني في الكدر
أيا غافرا راحما	يرى ذلَّ أمسـي وغدا
معاذك أن تنقما	وحلمك ملء الأبد

(الخفاجي، ١٩٥٦، ص ٣١٢)

ومنها قصيدة «على طريق إرم» لنسيب عريضة المشبعة بالمعاني الصوفية التي يقول فيها:

قَمَّ نتخذُ للمُنـي جناحا	يطير من عالم الحدود
ما أجمل اللآل بيدي	مياحه من قريب...
على طريق الجنون	بين المنى والمنون.....

(م.ن، ص ٦٦٦)

من عوامل ظهور اللون الصوفي في الأدب الحديث هو الصمت الذي اختاره الكثير منهم، وأحيانا يؤدي إلى الانعزال والانطواء كما كان نعيمه يدعو إلى الصمت، بما فيه من معان وفوائد: «إن الصمت الذي أودَّ أن أدخلكم إليه هو تلك الفسحة غير المحدودة حيث يتجول اللاوجود إلى الوجود والوجود إلى اللاوجود... ذلك هو الصمت الذي أودُّكم أن تجوبوا أرجاءه

كما تنزعوا عنكم في النهاية جلدكم القديم الضيق وتطلقوا في رحاب لا حدود فيها ولا قيود...» (الأشتر، ١٩٧٠، ص٧٦). ومن أسباب ظهور اللون الصوفي، هو التفسير الجديد للغيبات التي شرحناها قبل. وجزير بالإشارة أن كتاب "الرابطة القلمية" لم يتصلوا بتجارب المتصوفة من المسلمين كالحلاج وابن العربي والغزالي<sup>١</sup> وغيرها، لأنه كانت ثقافتهم القائمة على الدعائم المسيحية قريبة من الأديان والفلسفات الهندية وتمنعهم عن اتصالهم بما لم يكن مألوفا لعقائدهم الدينية (م.ن، صص٧٩-٨٢).

#### الشك واللاأدرية

إن الميل إلى الشك والتشاؤم ظاهرة أخرى للأدب التأملي التي ظهرت في ألوان مختلفة، مثلاً في موضوع هبوط الروح أو مسألة البعث والحياة بعد الموت وغيرها. من الموضوعات المتأملة التي أدت - أحياناً - إلى الشك والتشاؤم هو مسألة هبوط الروح، من الشعراء المعاصرين من أتبع مذهب هبوط الروح في جسم الإنسان لابن سينا<sup>٢</sup> - في قصيدته «هبوط إليك من المحل الأرفع» - كشوقي<sup>٣</sup>، فيتفائل الشاعر بتراجع الأرواح إلى جسم الإنسان بتمثيل جميل وهو تراجع أشعاع الشمس في أقصى الجهات، إلى مصدرهم وهو الشمس:

يا نفس مثل الشمس أنت أشعة      في عامر وأشعة في بلقع  
فإذا طوى الله النهار تراجعت      شتى الأشعة فالتفت في المرجع

(المقدسي، ١٩٥٢، ص٢٢١)

١. هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الملقب بحجة الإسلام وزين الدين (٤٥٠-٥٠٥)، مجدد القرن الخامس الهجري وهو أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين السنة في التاريخ الإسلامي.

٢. ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (٣٧٠-٤٢٧هـ)، عالم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى في أوزبكستان حالياً من أب من مدينة بلخ في أفغانستان حالياً وأم قروية، وتوفي في مدينة همذان بإيران حالياً. عرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث. وقد ألف ٢٠٠ كتاب في مواضيع مختلفة، العديد منها يركز على الفلسفة والطب. ويعد ابن سينا من أول من كتب عن الطب في العالم ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس؛ وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

٣. أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك (١٨٦٨-١٩٣٢م) شاعر مصري يعد من أعظم شعراء العربية في جميع العصور، حسبما ذكر ذلك في قاموسه الشهير "قاموس المورد" لقب بـ"أمير الشعراء".

ومنهم من يحير كالهواوي<sup>١</sup> شاكاً بمصدر الروح وعلة حركتها في الجسم:

يحرّك روعي الجسم وهي تحلّه  
فمن ذا لهذا الروح فيّ يتحرّك؟  
وقبل وجودي أين كان مكانه  
فهذا هو الشيء الذي لست أدرك

(م.ن، ص ٣٢١)

ومنهم من يحمله هذا التشاؤم والشك إلى حدّ الإنكار كقصيدتي «الخلود المزيّف» و«الحرية الخالدة» للصافي النجفي<sup>٢</sup> (م.ن، ص ٣٢١).

أثرت الأفكار الشاكة لأبي العلاء وعمر الخيام<sup>٣</sup> قبال الحياة وفلسفتها، على الأدباء العرب خاصة المهجريين، منهم من اتبهما كالرصافي<sup>٤</sup> ناسباً نفسه جاهلاً الخالق وحكمته:

أرى الخير في الأحياء ومض سحابة  
جهلت كجهل الناس حكمة خالق  
بدأ خلباً والشّر ضرّة لازم  
على الخلق طراً بالتعاسة حاكم

(م.ن، ص ٣٠٩)

ومنهم من يقابلهما فيؤمن بالحياة بما فيها من الخير والبركة، محباً الحياة وراداً على أقوال المتشككين، كمعارضة أبي ماضي بقصيدته «أبي» شكيات المعري (الدهان، ١٩٩٨، ص ٩١).

١. جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦) شاعر و فيلسوف عراقي كبير كردي الأصل، وقد عرف بالزهاوي منسوباً إلى بلدة (زهاو) من أعمال ولاية كرمشاه، وكانت موطناً لأسرته في العهد الأخير. ولد جميل الزهاوي في بغداد يوم الأربعاء ٢٩ ذي الحجة عام ١٢٧٩هـ، وتوفي في ذي القعدة عام ١٣٥٤هـ، ودفن بمشهد حافل في مقبرة الخيزران في الأعظمية.

٢. أحمد الصافي النجفي (١٨٩٧-١٩٧٧) هو أحمد بن علي الصافي الحسيني العلوي، يعود نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم. ولد في مدينة النجف الأشرف عام ١٨٩٧ وتوفي في بغداد، وعاش بين العراق وإيران وسوريا ولبنان، وتنحدر أصوله من أسرة علمية دينية مرموقة يتصل نسبها بالإمام موسى الكاظم، تعرف بآل السيد عبد العزيز.

٣. غياث الدين أبو الفتوح عمر بن إبراهيم الخيام المعروف بعمر الخيام (١٠٤٠-١١٣١ش)، عالم فارسي، ولد في مدينة نيسابور في إيران ما بين ١٠٣٨ و ١٠٤٨، وتوفي فيها ما بين ١١٢٣ و ١١٢٤م. فيلسوف وشاعر فارسي تخصص في الرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ. الخيام هو لقب والده، حيث كان يعمل في صنع الخيام، وهو صاحب رباعيات الخيام المشهورة.

٤. معروف الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥) أكاديمي وشاعر عراقي، اسمه الكامل معروف بن عبد الغني بن محمود الجباري، ولد ونشأ في بغداد عمل في حقل التعليم وله عدة إصدارات شعرية، بني له في بغداد تمثال لتمجيد ذكراه يقع في الساحة المقابلة لجسر الشهداء عند التقاطع مع شارع الرشيد المشهور قرب سوق السراي والمدرسة المستنصرية الأثرية.

إن التشاؤم بقيمة الحياة في الأدب القديم أكثر مما كان في الأدب الحديث؛ لأنه كان الفكر العام عند القدماء أن الحياة الأرضية ناقصة، ولذلك فهي ستظل شقية حتى تصل إلى الكمال في العالم الثاني، على أن الفكر العام اليوم أن الحياة ليست ناقصة وشريرة وبالتالي شقية، بل إنها متطورة والتطور أساس جمالها وسعادتها (المقدس، ١٩٥٢، ص ٣١٤).

يموج الشك لدى المتأملين الروحيين المهجريين، فيقول نسيب عريضة:

حياة شك وموت شك      فلنغمر الشك بالمدام

(م.ن، ص ٤٨)

ظهر لون من اللادريات الذي يرتبط بالتفسير الجديدة للغيبات من جهة وبالحرية الدينية الحاكمة على البيئة الأميركية من جهة أخرى، كمطولة «الطلاسم» لأبي ماضي، بحيث يتناول الشاعر في كل مقطوعة قضية وجودية مع تعمق في فلسفة الحياة والموت، مخاطبا البحر والسحاب والشجر، قائلًا: من أين جئت؟ فيدرك أنه لا يدري ولا يعلم فأخذ يكرر لأدريته:

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ      ولقد أبصرتُ أمامي الطريق فمشيتُ  
وسأبقى سائرا إن شئتُ هذا أم أبيتُ      كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟

لستُ أدري

إنني جئتُ وأمضي وأنا لا أعلم      أنا لغز وذهابي كمجيئي طلسم...  
أنا لا أذكر شيئا من حياتي الماضية      أنا لا أعرف شيئا عن حياتي الآتية  
لي ذات غير أني لستُ أدري ما هيه      فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي؟

لستُ أدري

(أبوماضي، ٢٠٠٤، ص ١٩١)

#### الرحلات الخيالية

الرحلة الخيالية هي الانتقال المتخيل الذي يقوم به الأديب عبر الحلم أو الخيال إلى عالم بعيد عن عالمه الواقعي، لي طرح في هذا العالم رؤاه وآلامه وأحلامه التي لم تتحقق في دنيا الواقع (السليمان، ١٩٩٩، ص ٩). ففي هذا النوع من الأدب يُعبّر الأديب عن فكرة معينة لا باستخدام الأمثال والحكم، بل على قصة أو من خلال إطار خيالي. من أمثال هذا اللون في

١. وفي نسخة «قدّامي».

غير المهجر المعاصر قصيدة "ترجمة الشيطان" للعقاد<sup>١</sup>، حيث تروي القصيدة سيرة شيطان ناشئ من ولد إبليس سئم الحياة التي خلق لها، فيتمرد على هذه الخلقة، والمهمة التي تقتصر على الإغواء، ويتوب إلى الله عز وجل عن الشر فيجازيه الله عن توبته بالجنة مسكناً ومأبأً، ولكن روح الثورة لا تفارق هذا المخلوق، فيرى أن أي منزلة دون الكمال الإلهي نقص وعيب، فيطلب إلى الله في تحد صاخر أحد أمرين: إما الخلود الإلهي المطلق، وإما التحول حجراً صلداً تُخلد فيه روعة الفن الجميل؛ يقول الشاعر:

لَمَحَّةٌ جَازَتْ بِهِ مَشْرِقَهَا      ثُمَّ رَدَّتْهُ حِيَالُ الْمَغْرِبِ  
وَيْشَاءُ اللَّهُ أَنْ يُوبِقَهَا      فَاشْتَهَاهَا شَهْوَةَ الْمُغْتَصِبِ  
وَارْتَضَى فِيهَا مَقَاماً رَغِداً      حَوْلَ بَحْرِ الرُّومِ أَوْ بَحْرِ الْعَجَمِ

(العقاد، د.ت، ص ٢٧٥)

وللمهجرين ملحمة «على بساط الريح» لفوزي المعلوف، «ملحمة عبقر» لشفيق المعلوف<sup>٢</sup> و«على طريق إرم» لنسيب عريضة (الفاخوري والشبلي، ٢٠٠٣، ص ٣٤٢؛ السليمان، ١٩٩٩، ص ١٨-٦٨). استمد شفيق المعلوف مادة ملحمة من الأساطير العربية القديمة، مستلهماً من «رسالة الغفران» للمعري و«التوابع والزواج» لابن شهيد<sup>٣</sup>. تروي «ملحمة عبقر» حكاية رحلة خيالية قام بها الشاعر طائراً إلى وادي «عبقر» على ظهر جن، إلى حيث يعيش حشد من المخلوقات العجيبة

١. عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤) ولد في أسوان في لأم من أصول كردية ومن ذرية الصحابي خالد بن الوليد الذين سكنو كردستان العراق، وجده لأمه هو محمد آغا الشريف، ويعزى نسبه إلى النبي محمد في بعض المراجع، بينما يعزوه أحد المراجع إلى العباس بن عبدالمطلب، وتخرج من المدرسة الابتدائية سنة ١٩٠٢م، منذ تعطلت جريدة الضياء في ١٩٣٦ وكان فيها مديراً سياسياً، انصرف جهده الأكبر إلى التأليف والتحرير في المجلات، فكانت أخصب فترة إنتاجا، فقد ألف فيها ٧٥ كتاباً من أصل نحو ١٠٠ كتاب ونيف ألفها. هذا عدا نحو ١٥ ألف مقال أو تزيد مما يملأ مئات الكتب الأخرى.

٢. شفيق عيسى المعلوف (١٩٠٥-١٩٧٧) أحد أبرز شعراء المهجر. هو أحد مؤسسي العصبة الأندلسية بالبرازيل، وواحد من كبار شعراء العصر ومن أفضلهم، بل هو "صاحب الراية العليا" كما يقول فيه أمين نخلة. وهو النجل الثاني لشيخ أدباء العصر عيسى إسكندر المعلوف.

٣. عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي أبو مروان (٣٢٣-٣٩٣هـ/٩٣٥-١٠٠٣م) وزير، من أعلام الأندلس ومؤرخيها وندماء ملوكها. ولد ومات بقرطبة. له "تاريخ" كبير يزيد على مائة جزء، بدأه بعام الجماعة ٤٠هـ وختمه عام وفاته، مرتباً على السنين. جمع ما وجد من شعره في ديوان له مطبوع. مات بسبب مرض الفالج.

المخيفة. يقابل الشاعر هؤلاء ويصغي إلى مواعظهم ضد شرور الإنسان أو إلى ما يصدر عنهم من أقوال حكمية، ففيها أوصاف مفتعلة لهذه المخلوقات الكريهة:

قُمْ فترى كيف شياطينها	تُطَلِّ في عينيك من بابها
وكيف من فيك ثعابينها	تنسلّ من فوهة سردابها
وانظر إلى الغيلان في وجرها	تصمّ أذنيك بتصخابها....
جمعها كَرَّ الزمان الذي	مرّ وفي صدرك ألقى بها...

(المعلوف، ١٩٣٦، صص ١٥١-١٥٢)

#### النزعة إلى الطبيعة

يصف العقاد الطبيعة: هي قلب نابض وحياء شاملة ونفس نحن إليها ونأنس بها وذات نساجلها العطف ونجاذبها المودة (نعمة، ١٩٦٠، ص ٣٥٣). فإن الأديب المتأمل - حسب هذا التعريف - يعتني بوصف الطبيعة ويعبر عن خواجه النفسية بالتصوير والخيال، فهي مخاطب الشاعر، ويسأل الشاعر عنها عما لا يعرفه، فينزلها منزلة العاقل الذي له الحواس الخمسة واللذة والعرفان. هذه المخاطبة تتصل بتأمل الأديب في ظواهر الطبيعة وبواطنها وفي الحية منها كالورود والأشجار والطيور، واللا حية كالجبال والأنهار والنجوم والرياح، فيجعل كلا من هذه العناصر رمزا لبيان عقيدته التأملية.

إن الحياه الريفية وأحوال سكانها داخلة في التيار الطبيعي للأدب، والشاعر يمتزجها بوصف الطبيعة وإن كان الشاعر في الغربة يحنّ إلى وطنه والعودة إلى الريف وإحياء ذكرياته الماضية مع أترابه في القرية. فهذا هو رياض المعلوف<sup>١</sup> الذي يصف في بواطن ذكر الريف أتعاب الفلاح وثمره اجتهاده، مخاطباً إياه:

شقّ يا فلاح صدر الأرض شقاً	تنعم الناس بما تجني وتشقى
أحرث التربة وازرع واجتهد	يدفق الخير على كفيك دقاً

(المعلوف، ١٩٧٤، ص ٨٦)

وكذلك الأديب المهجري؛ اتجه نحو الطبيعة على غرار جديد بشكل اندمج الشاعر في

١. رياض المعلوف (١٨٩٩-١٩٣٠) شاعر لبناني رقيق ولد في زحلة، يمتُّ بنسبه إلى أسرة عريقة في القدم، أنجبت الشعراء والمؤرخين والكتبة، فوالده عيسى إسكندر المعلوف هو العالم المؤرخ والعضو في ثلاثة مجامع علمية.

الطبيعة واعتبرها كموجود حيّ يحسّ ويشكو. يأخذ الأديب عناصر الطبيعة لكي يرتقي عبرها ويفضلها إلى تعبير مفاهيمه، فالأدب الحديث لم يقف عند حد المشاهد التي تبهج النفس بل اتجه اتجاهها عاما إلى ما للطبيعة من وجود معنوي يلذّ للخيال الجولان فيه ويروق أن يسمو إليه (المقدسي، ١٩٥٢، ص ٣٥٠). الشاعر المهجري يستخدم وصف الطبيعة وسيلة لبيان الحنين إلى الوطن أو أسلوبا خاصا في أشعاره فيخاطبها ويجعلها حيوية، ويفرض لأجزاء الطبيعة البصر والعين والقلب والإحساس. مخاطبة جبران الأرض مرقومة على هذا الأسلوب: «ما أجملك أيتها الأرض وما أبهى لك، ما أتمّ امتتالك للنور وأنبل خضوعك للشمس. ما أظرفك متحشّة بالظل وما أملح وجهك مقنّعا بالدجى. ما أكرمك أيتها الأرض...» (مجموعة الرابطة القلمية، ١٩٦٤، ص ١٩٤).

### النظرة إلى الدين

ما هو موقف الدين وأصحابه تجاه التطور الحديث؟ عليه أن يغيّر لونه لونا حديثا، ويواكب العالم الجديد وخاصة الثقافة الأجنبية أم لا؟ وهل عليه أن يساير القواعد القديمة دون أيّ تغيير؟ إن الدين والتقليد عنه أو التجديد فيه هو ظاهرة أخرى للأدب التأملي. وللدباء أمام هذه النظرية مواقف ثلاثة: إما مخالفة الدين والدفاع عن العقائد المادية الاقتصادية والسياسية كالدكتور شبلي شمّيل<sup>١</sup> وتابعيه؛ وإما الدفاع عن المبدأ الإلهي وعن الإيمان والنصوص الدينية، كفريد وجدي<sup>٢</sup>، رادّا الماديين وداعيا بوجود المبدأ الإلهي في الكون وما فيه؛ ومنهم من وجّه إلى التعادل، فهتف بالنظرة التجديدية في الدين التي تحارب

١. شبلي شمّيل (١٨٥٠-١٩١٧) مسيحي لبناني من طلائع النهضة العربية، تخرج من الكلية البروتستنتية/الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم توجه إلى باريس لدراسة الطب، ثم استقر في مصر، أقام في الإسكندرية، طنطا، ثم القاهرة.

٢. محمد فريد وجدي (١٨٧٨-١٩٥٤) كاتب إسلامي مصري الجنسية من أصول شركسية ولد في مدينة الإسكندرية بمصر سنة ١٨٧٨م وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٤، عمل على تحرير مجلة الأزهر لبضع وعشر سنوات، له العديد من المؤلفات ذات طابع ديني ووثائقي ومن أهم كتبه، كتاب "كنز العلوم واللغة" وكتاب "دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي" وتقع في عشرة مجلدات، له كتاب مهم بعنوان "صفوة العرفان في تفسير القرآن" أعيد طبعه عدة مرات، وله كتاب رائع في السيرة اسمه "السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة"، وله كتاب في شرح مبادئ الإسلام ورد الشبهات عنه اسمه الإسلام دين عام خالد.

من جهة النزعة المادية، ومن جهة أخرى تأبى التقيد بقيود الجمود التقليدي الذي يحول دون النمو الروحي... ومن رجالها جمال الدين الأفغاني<sup>١</sup> ومحمد عبده<sup>٢</sup> (المقدس، ١٩٥٢، صص ٣٠٥-٣٠٧)، داعين بأن الدين والعلم لا يغايران وبوسعهما أن يسايرا دون تعارض، وإن العلم والدين لم ولن يهدما أنفسهما.

أما الدين في المهجر فله رد فعل آخر، فإن البيئة التي هيأتها الغرب وعاش فيها أدباء المهجر كانت قرينة بالحرية، وبعيدة عما يخوف رجال الدين، فاستطاع أدباء المهجر أن يبرزوا آراءهم حول الدين بحرية كاملة. «الحرية هي الدعامة الأولى التي قام عليها الأدب المهجري، سواء في المعتقدات الفكرية والمذهبية والاجتماعية، أو في التعبير وفي فنون البيان. والحرية الدينية عامل عظيم التأثير وركن من أهم الأركان التي جعلت الأدب المهجري يظفر بما ناله إلى اليوم من التقدير والإعجاب، ويحتل مكانته البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث. ولعل المهجريين هم أهم فئة من رجال الفكر العربي الحديث نشرت معاني التسامي في الدين (سراج، ١٩٥٧، ص ٥٤). فها هو ذا جبران يعتقد بأن الإيمان أمر فردي وفطري، والأديان لها منشأ واحد، والمنشأ هو ذات الإلهي المقدس. يقول جبران: «تقول فكرتكم: الموسوية، البرهمانية، البوذية، المسيحية والإسلام؛ أما فكرتي فتقول: ليس هناك دين واحد مجرد مطلق تعددت مظاهره وظل مجرداً» (جبران، ١٩٥١، ص ٢٨٦). وفي موضع آخر ترد هذه العبارات الأسرة: «أنت أخي وأنا أحبك، أحبك ساجداً في جامعك وراكعاً في هيكلك ومصلياً في كنيستك، فأنت وأنا أبناء دين واحد هو الروح، وزعماء فروع هذا الدين أصابع ملتقية في يد الألوهية المشيرة إلى كمال النفس» (جبران، ١٩٨٨، ص ١١٤).

١. جمال الدين الحسيني الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية ومن أعلام القومية العربية بالنسبة للتجديد.
٢. محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م): ولد محمد بن عبده بن حسن خير الله في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيرة. في سنة ١٨٦٦ التحق بالجامع الأزهر، وفي سنة ١٨٧٧ حصل على الشهادة العالمية، وفي سنة ١٨٧٩ عمل مدرساً للتاريخ في مدرسة دار العلوم، وفي سنة ١٨٨٢ اشترك في ثورة أحمد عرابي ضد الإنجليز، وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن ثم بالنفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة ١٨٨٤، وأسس صحيفة العروة الوثقى، وفي سنة ١٨٨٥ غادر باريس إلى بيروت، وفي ذات العام أسس جمعية سرية بذات الاسم، العروة الوثقى.

## الحنين إلى الوطن والمدن

من أبرز إبداعات متألمي المهجر وغير المهجر المعاصر، الشوق إلى الوطن والمدن، بما فيه من ذكريات وخواطر، ولم يكن الحنين إلى الوطن مقصوراً على الوطن الذي يعيشه الشاعر، بل كل البلاد العربية، يحنو حافظ إبراهيم<sup>١</sup> إلى موطنه مصر ولا ينسى الشام، فالشام لدى شاعر النيل رديفة مصر وصنوها في التجديد والإحياء ورسم معالم النهضة الأدبية الحديثة:

لمصر أم لربوع الشام تتسب	هنا العلا وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لازالت ربوعهما	قلب الهلال عليهما خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما	ولا تحول عن مغناهما الأدب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما	في رائعات المعالي ذلك النسب؟

(إبراهيم، ١٩٣٧، ص ١٦٥)

فأحياناً يحنو الشاعر إلى المدينة، فإما هي المدينة التي عاش فيها وإما مدينته الخيالية، فيتصورها الشاعر بامرأة وينتسبها إلى عصره الحديث كما كان هذا فعل البياتي وأدونيس. فدمشق أدونيس امرأة تحمل كثيراً من صفات المجتمع العربي عامة، تلك الصفات التي يحاول الشاعر أن يحطمها:

يا امرأة الرفض بلا يقين  
يا امرأة القبول

يا امرأة الضوضاء والذهول

يا امرأة مليئة العروق بالغابات والوحول

أيتها العارية الضائعة الفخذين يا دمشق (أدونيس، ١٩٨٨، ص ٤٣)

أما الأديب المهجري فأكثر حنيناً إلى وطنه، لأنه مضت عليه ظروف سياسية واجتماعية قلقة أجبرته بالهجرة، ففي الغربية يشتاق إلى وطنه، وحينئذ ينعكس هذا الاشتياق في أدبه. يقول رياض المعلوف راجياً عودته إلى لبنان:

١. محمد حافظ بن إبراهيم ولد في محافظة أسيوط ٢٤ فبراير ١٨٧٢ وتوفي ٢١ يونيو ١٩٣٢م. شاعر مصري ذائع الصيت. عاصر أحمد شوقي ولقب بشاعر النيل وبشاعر الشعب.

ما أحسن الذكر	في مقلته الغريب
فهو إذا ذكر	موطنه الحبيب...
هل يا ترى نعود	إليك يا لبنان؟
كم سحت في المعمور	ما غرتي منظر...

(الخفاجي، ١٩٥٦، ص ٣٣٤)

يمزج الأديب هذا الحنين بالوصف ووصف الطبيعة منها خاصة، هذا أبو الفضل الوليد في «رياحين الأرواح» يخاطب الفلاح ويصف له شوقه للوصول إلى الوطن ولقائه مرة أخرى ويتحدث عن مشاعره وآلامه:

لو كنت تعلم ما ألقى من الزمن	وما أفاصي من الأهوال والمحن
لكنت تبكي على ناء بلا سكن	يشتاقي لبنان والاقدار تدفعه

عن الرجوع... فوا شوقي إلى الوطن

(المقدسي، ١٩٥٢، ص ٣٤٨)

### القومية

ما كاد القرن التاسع عشر يتنفس صباحه حتى جعلت حماسة العرب إلى الوحدة تتأجج، وأخذت عقول مفكريهم ترسم الخطط وتدبر، وشرع أدباؤهم يدعون الوحدة ويبشرون بها ويتلهفون على تحقيقها، بعد أن انقسمت عرى الخلافة العثمانية وسارع العرب إلى مجاهدة المحتلين ليتحرروا من إرهاب الاحتلال البغيض. وكلما ازدادت السنون، ازدادت الأمة العربية خاصة الأدباء، شعورا بحاجتها إلى تجمع مرهوب ووحدة قوية، وفيه تجمع شتاتها، ولقد طالما جلجل شعراء العصر الحديث بالقومية العربية حاملين على الاستعمار الذي قوّض بنيان العرب وقعد به عن مجارة الزمن ونفت في قواهم سموم العنف والانقسام. وللشعراء مناهج مختلفة للاتجاه نحو القومية، منها: ذكر البطولات ورتاء المجاهدين، فصور أحمد شوقي قبر يوسف العظمة<sup>١</sup>، يهتف بالجهاد للثأر له من الفرنسيين، ونوه ببطولته في مناضلة الجيش الفرنسي الباغي المستظهر بطياراته ودباباته:

١. شهيد موقعة ميلسون التي أبلى فيها العرب أعظم بلاء واستشهد فيها يوسف فكان من طلائع شهداء الحرية والعروبة.

سأذكر ما حبيت جدار قبر	بظاهر جلق ركب الرمالا
مقيم ما أقامت ميلسون	بذكر مصرع الأسد الشبالا
لقد أوحى إلي بما شجاني	كما توحى القبور إلى التكالى
تغيب عظمة العظمت فيه	وأول سيد لقي النبلا

(الشوقي، ١٩٩٢، ج ٢، ص ٢٦٥)

وكذلك هو الحال لدى المهجريين فهم يستخدمونها بشكل مستقل أو في إطار قصائدهم الوطنية والسياسية، والمهم هنا أن القومية أكثر منها في المهاجر الجنوبية بالنسبة إلى المهاجر الشمالية (الجيوسي، ٢٠٠١، ص ١٠٣). من أشهر شعراء القومية في المهجر الأميركي الشاعر القروي وإلياس فرحات في العصابة الأندلسية وإيليا أبوماضي في الرابطة القلمية. اتجه الشاعر القروي إلى ذكرى أمجاده العرب ويقول:

مهلاً أخي مهلاً ظلمت ولم تكن	لولا العروبة بالأخ المستمهل
تالله لم هذا الجفاء لأمة	ما أنجبت غير المعمم المخول
أتريد أعظم من أبي بكر ومن	عمر إذ انتسب الكرام ومن علي
أتجف أوراق العروبة في ربي	لبنان وهي نظيره في يذبل
ماذا يضيرك لو جمعت المجد من	طرفيه من صنعاء حتى يبيل

(الخفاجي، ١٩٥٦، ص ٥٩٣)

#### النزعة الإنسانية

هي الحديث عن الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه، وهذا الاتجاه يعبر عن موقف الإنسان في الحياة ودوره في نشر الخير وميله إلى الحرية والثورة على الظلم وعن معاني الوطنية والمساواة والإخاء والشجاعة وغيرها. فهو ذا إلياس فرحات الذي يمثل الطابع الإنساني في شعره ويجعله عالياً في السماء ومكانته مرتفعة لدى الثريا:

لا تخاليني لصيقاً بالثرى	لا تمس الأرض إلا قدماً
إن في الإنسان من فطرته	للثرى شيئاً و شيئاً للثرى

(م.ن، ص ٣١٠)

وكذلك الشاعر القروي، فهو يمثل النزعة الإنسانية في قصائده، داعياً إلى الحرية:

أنت حرّ فاستوطن البلد الحرّ  
ولك الأرض والسماء وهل يد  
وصاحب من أهله إخوانا...  
عي فقيرا من يملك الأكوانا

(م.ن)

### النزعة الروحية

النزعة الروحية هي التي تتأمل في حقائق الكون والحياة وفي الخير والشر والفناء والخلود، والإنسان هو محور التأمل في الروحيات؛ فالأديب يصوّر في أخيلته عالما روحيا مثاليا، ويجسّد أفكاره ومعانيه في قالب الشعر والنثر. إن الآثار الكاملة لأدباء المهجر تدلّ بوضوح على أن تفكيرهم في الأدب والحياة والإنسان والكون لم يكن مستلهما من مذهب فلسفي واحد، بل تتدرج في إطار منظومات فلسفية مختلفة، وإن مصادر التكوين الفكري العامة لهم هي المسيحية وأصولها الشرقية (الجيوسي، ٢٠٠١، صص ١٣٢-١٣٣)، الآداب الأجنبية، تجربة المهجرة وآثارها النفسية العميقة والثقافة العربية (الأشتر، ١٩٧٠، ص ٢٤)؛ فالأديب المهجري في نزعاته الروحية يستلهم من هذه المصادر. من موضوعات النزعة الروحية هو البحث عن الحقيقة والسعادة، فهذا إيليا أبوماضي يفتش عنها فلم يصل إليها، ولم يبئس الشاعر، يبحث ثانيا عنها وبعد مضيّ زمن، يدرك أنها لم تكن خارج نفسه بل عليه أن يبحث عنها في نفسه:

وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى  
أن التي ضيّعتها كانت معي

(الدهان، ص ٧٩)

برزت عقيدة الإصرار على خلود الروح في الأدب المهجري، خاصة لدى أدباء الرابطة القلمية. يقول جبران: «أنا كنت منذ الأزل، وها أنذا، وسأكون إلى آخر الدهر وليس لكياني انقضاء، سبحت في فضاء اللا نهائية وطرت في عالم الخيال واقتربت من دائرة النور الأعلى، وها أنذا الآن سجين المادة» (الأشتر، ١٩٧٠، ص ٦٧).

## النتيجة

إن الاتجاه التأملي ذو خلفية زمنية قديمة وليس هذا بجديد في تاريخنا الأدبي، فنشاهد التأملات لدى أبي العلاء المعري في لزومياته، ثم التأملات في الحياة والموت لدى أبي العتاهية وغيرهم، ومن الطبيعي أن يتسرب الاتجاه التأملي إلى الأدب المعاصر المهجري وغير المهجري. وبالنظرة الشاملة والدقيقة إلى الظواهر التأملية في الأدبين المهجري وغير المهجر المعاصر نفهم أن جوانب الالتقاء بين ظواهرهما التأملية أكثر من جوانب الاختلاف بينهما ولو أمعنا النظر نستنبط أن استخدام التأمل في كلا الأدبين مضارعان، اللهم إلا في النظرة إلى الدين التي ينظر إليه المهجريون أكثر حرية بالنسبة إلى غيرهم. فإن الأدب غير المهجر المعاصر في نزعاته الروحية هو نفس الأدب المهجري، وفي التعليق على نماذجهما ليس بإمكاننا أن نفرق بينهما؛ لأن غالبية موضوعاتهما التأملية تقع في إطار واحد.

ولسهولة دراية جوانب الالتقاء والاختلاف بين الاتجاه التأملي للأدبين المهجري وغير المهجر المعاصر، قدمنا في نهاية المقال قائمة التطبيق التي تبين مقارنتنا واضحة.

## جدول المقارنة:

الموضوع	غير المهجر المعاصر	الأدب المهجري	الايضاح
ذو خلفية زمنية قديمة	+	-	
محصوراً مكاناً	-	+	التأمل: لدى كل انسان يكلم بالعربية إما في الوطن العربي وإما خارجه
من بواعث ظهور الأدب هو القضايا الاجتماعية	+	+	
من بواعث ظهور الأدب هو القضايا السياسية	+	+	
من بواعث ظهور الأدب هو القضايا الثقافية	-	+	
من بواعث ظهور الأدب هو القضايا الشخصية	++	-	غالباً
الانجازات والمستجدات شكلاً	-	+	عادةً
الانجازات والمستجدات موضوعاً	+	+	
التحرر من القيود العروضية القديمة	-	++	
ظهور الشعر المنثور	-	+	المهجر: الريحانيات
ظهور النثر الشعري	-	+	المهجر: الأغنية الخالدة لجبران
التفسير الجديد للغبيبات	+	++	
علة ظهور التفسير الجديد للغبيبات هي الحرية الدينية	-	++	
التصوف الروحي	+	+	
التصوف المادي	+	+	
غلبة التصوف الروحي على المادي	+	+	عادةً
غلبة التصوف المادي على الروحي	-	-	
الالهام من المتصوفين المسلمين	+	-	غالباً
علة ظهور التصوف هي الصمت	+	++	
علة ظهور التصوف هي التفاسير الجديدة للغبيبات	+	++	
الينابيع الفلسفية من النصوص الدينية	++	+	المهجر: جبران: التأمل: عدد كثير
الينابيع الفلسفية من الثقافات الغربية	+	+++	
الينابيع الفلسفية من الثقافات الشرقية	+	+	
بروز الشك والتشاؤم	+	++	المهجر: نسيب عريضة: التأمل: المعري
ظهور الانكار بالشك والتشاؤم	+	++	

الموضوع	غير المهجر المعاصر	الأدب المهجري	الايضاح
علة ظهور التشاؤم والشك هي الحرية الدينية	-	+	
علة ظهور التشاؤم والشك هي العوامل الاجتماعية	+	+	
علة ظهور التشاؤم هي التفسير الجديد للغيبيات	+	++	
غلبة التشاؤم على التفاؤل	-	-	
غلبة التفاؤل على التشاؤم	+	+	المهجر: فلسفة الحياة لأبي ماضي؛ التأملي: الأصدقاء لأحمد قنديل
التأمل في مضمار الحياة	+	+	
الإيمان بقيمة الحياة	+	+	المهجر: أبي ماضي؛ التأملي: أحمد مخيمر
الكفاح في سبيل الحياة	+	+	المهجر: نسيب عريضة؛ التأملي: الشابي
الرحلات الخيالية	+	+	المهجر: فوزي معلوف؛ التأملي: المعري
علة ظهور الرحلات الخيالية هي الحرية الدينية	-	+	
علة ظهور الرحلات الخيالية هي غلبة الشك والتشاؤم	+	+	
للرحلات الخيالية لون من السخرية الدينية	+	+	أحياناً
الرغبة إلى الطبيعة	+	+	
استخدام الطبيعة للحنين إلى الوطن	+	++	في التأملي أحياناً
ذكر الريف أثناء استخدام الطبيعة	+	+	عادةً
مخاطبة عناصر الطبيعة	+	++	المهجر: جبران؛ التأملي: ابن خفاجة
النظرة إلى الدين	+	+	
التحرر الديني	-	+	
علة التحرر الديني هي البيئة التي تعيش الأديب فيها	-	+	
علة التحرر الديني هي الامتزاج بالثقافات الأجنبية	-	+	

## المصادر والمراجع

١. الألوسي، أبو الفضل (١٣٠١ق). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار الفكر.
٢. إبراهيم، حافظ (١٩٣٧). *الديوان*. بيروت: دار الجيل.
٣. ابن العربي، محيي الدين (١٩٦٦). *ترجمان الأشواق*. بيروت: دار صادر.
٤. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٨٨). *لسان العرب*. تعليق علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٥. أبو العتاهية، إسماعيل بن قاسم (١٩٨٦). *ديوان*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
٦. أبو ماضي، إيليا (٢٠٠٤). *ديوان*. شرح جمعه سامي الدهان، بيروت: دار العودة.
٧. الاختيار، نسيب (١٩٨٨). *الشعر الصوفي*. دمشق: مطبعة اليقظة.
٨. أدونيس، أحمد سعيد (١٩٨٨). *قصائد أولى*. بيروت: دار الآداب.
٩. الأشر، عبد الكريم (١٩٧٠). *النثر المهجري*. ط٣، بيروت: دار الفكر.
١٠. البياتي، عبد الوهاب (١٩٩٠). *ديوان*. بيروت: دار العودة.
١١. الجاد، حسن (١٩٦٣). *الأدب العربي في المهجر*. القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
١٢. جبران، جبران خليل (١٩٥١). *رسائل جبران صفحات مطويه في أدب جبران الخالد*. بيروت: مكتبة بيروت.
١٣. \_\_\_\_\_ (١٩٨٨). *دمعة وابتسامة*. بيروت: مؤسسة نوفل.
١٤. الجبوسي، سلمى الخضراء (٢٠٠١). *الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث*. ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
١٥. الخفاجي، محمد بالمنعم (١٩٥٦). *قصة الأدب المهجري*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
١٦. الدهان، سامي (١٩٩٨). *مقدمة ديوان إيليا أبي ماضي*. بيروت: دار العودة.
١٧. سراج، نادرة جميل (١٩٥٧). *شعراء الرابطة القلمية*. القاهرة: دار المعارف.
١٨. السلیمان، محمد الصالح (١٩٩٩). *الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
١٩. الشوقي، أحمد (١٩٩٢). *الشوقيات*. بيروت: دار الكاتب العربي.
٢٠. عبدالدايم، صابر (١٩٩٣). *أدب المهجر*. القاهرة: دار المعارف.
٢١. العقاد، محمود العباس (دون تا). *الديوان: أشباح الأصيل*. بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٢. الفاخوري، تميم محود؛ الشبلي، مريم (٢٠٠٣). *أعلام الشعر العربي*. بيروت: دار المعرفة.
٢٣. الفيروزآبادي، مجد الدين (١٢٦٤ق). *القاموس المحيط*. القاهرة: مطبعة السعادة.
٢٤. *مجموعة الرابطة القلمية* (١٩٦٤). بيروت: دار صادر؛ دار البيروت.
٢٥. محمود زلط، عبدالرحيم (١٩٧٢). *العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي*. بيروت: دار الفكر العربي.
٢٦. المعلوف، رياض (١٩٧٤). *ديوان نمائم الخريف*. بيروت: مطبعة مارأفرايم البطريكية.
٢٧. المعلوف، شفيق (١٩٤٦). *ملحمة عبقر*. البرازيل: سان باولو.
٢٨. المعلوف، لويس (٢٠٠٣). *المنجد في اللغة*. ط ٣٦، قم: دار العلم.
٢٩. المقدسي، أنيس (١٩٥٢). *الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث*. بيروت: دار العلم للملايين.
٣٠. نعمة، نهاد توفيق (١٩٦٠). *الجن في الأدب العربي* (رسالة جامعية). بيروت: الجامعة الأميركية في بيروت، حيران.
٣١. نعيمة، ميخائيل (١٩٨٨). *همس الجفون*. بيروت: مؤسسة نوفل.
٣٢. هدارة، محمد مصطفى (١٩٥٧). *التجديد في شعر المهجر*. بيروت: دار الفكر العربي.